الانسان الغربي الحديث الذي وعى موت الله لكنه سعى لاحتلال مكانه . وتتمثل الارض العربية صحراء كانت قبسا ميتا من ذات خالقها الميت ، وارتدت الى ما قبل المناداة بالدعوة الاسلامية التي مثلت ولادة الحضارة العربية : ان الله صامت لم يلق كلمته ، فليس من رسالة وليس من حضارة . يقول :

ما لوجه الله صحراء

وصمت يترامى عبر صحراء الرمال

وفي حالة موت الله ترفع العلل ويختل نظام الكون وينتفي الثبات ويزول اليقين ويغدو كل شيء ممكنا . وتنهزم في نفس الانسان العربي المناقب العربية الاصيلة وتنقلب القيم ويسيطر نقيض ما عرف عن حياة البداوة العربية من احوال : فبديل ان يشعل العربي ناره ليهتدي بها الضيف اغتصب الضيف دار مضيفه واوقد هو النار ليؤكد ان ما اغتصبه صار ملكا له . واصبحت الافاق الواسعة جدران مغارة هي صورة للقبر الذي يضم الانسان العربي ، ومشت الغابة وكأن جذورها لم تعد متغورة في احشاء الارض تأخذ منها وتعطيها وانحلت الروابط جميعا وهبت ريح عقيم ليست ريحا شفافة ممطرة بل موحلة تحمل في طياتها امواجا من الرمال ، ولم يتحرك الانسان العربي ليطلب الثأر كما كان يفعل في طفولة حضارته وفتوتها بل تقاعس عن بلوغ مثاله الحضاري لان جذوة الحياة انطفأت في داخله ، يقول :

ما لضيف غاصب
يوقد ناره
حوله الآفاق جدران مغاره
حوله ايدي الرجال
غابة تمشي
ويمشي معها تيه الصحارى والبطاح
ويمحي دربها
موج من الرمل المدوي في الرياح
ما ترى تحكي الرياح
عن جراح ماتها الثأر
وما يسكب من شوء ومسك
في الجراح

وتكون المأساة في موت المأساة واختفاء الملحمة وانتصار عنصر الشر انتصارا مبرما. استبيح البيت المقدس وليس من يدافع عنه بعد موت ربه ، وتخاذل عنصر الخير عن امتطاء الريح ومحاربة عنصر الشر والقضاء عليه . وبانتصار اليهود، وهم الذين سماهم المسيح ابناء الافاعي ، انتصرت الافعى — علة سقوط الانسان — وسيطر عالم السقوط وتكرست سدوم اليهودية سيدة مطلقة لم يعد هناك من ينذرها ويسقط لعنته عليها ، يقول :

ما لبيت القدس ، بيت الله
معراج النجوم
ما لم يحمه سيف ملاك
يمتطي الريح وابراج التخوم